من تراث الشعر

وصف الحمى*

للمتنبي

وزائرتي كأن بها حياء ... فليس تزور إلا في الظلام(١)
بذلت لها المطارف والحشايا ... فعافتها وباتت في عظامي(٢)
يضيق الجلد عن نفسي وعنها ... فتوسعه بأنواع السقام(٣)
أراقب وقتها من غير شوق ... مراقبة المشوق المستهام(٤)
ويصدق وعدها والصدق شر ... إذا ألقاك في الكرب العظام(٥)
أبنت الدهر عندي كل بنت ... فكيف وصلت أنت من الزحام(٦)
يقول لي الطبيب أكلت شيئاً ... وداؤك في شرابكَ والطعام(٧)
وما في طبه أني جواد ... أضر بجسمه طول الجمام(٨)
تعود أن يغبر في السرايا ... ويدخل من قتام في قتام(٩)
فأمسك لا يطال له فيرعى ... ولا هو في العليق ولا اللجام(١٠)
فإن أمرض فما مرض اصطباري ... وإن أحمم فما حم اعتزامي(١١)
وإن أسلم فما أبقى ولكن ... سلمت من الحمام إلى الحمام(١٢)

---

* شرح البرقوقي لديوان المتنبي (٤/٢٧٦)

(١) وزائرتي: أي ورب زائرة لي - يريد الحمى وكانت تأتيه ليلا.

(٢) المطارف: جمع مطرف، وهو رداء من خز في جنبه علمان، والحشايا: جمع حشية، وهي ما حشي من الفراش مما يجلس عليه. وعافتها: كرهتها وأبتها.

(٣) يقول: جلدي لا يسعها ولا يسع أنفاسي للصعداء، والحمى تذهب لحمي وتوسع جلدي بما تورده علي من أنواع السقام.

(٤) يقول: إنه لجزعه من ورودها يراقب وقت زيارتها خوفا لا شوقا.

(٥) يقول: إنها صادقة الوعد في الورود - لأنها لا تتخلف عن ميقاتها - وذلك الصدق شر من الكذب لأنه صدق يضر ولا ينفع، كمن أوعد ثم صدق في وعيده.

(٦) يريد ببنت الدهر: الحمى، وبنات الدهر. شدائده.

(٧) و(٨) الجمام: الراحة. يقول: إن الطبيب يظن أن سبب دائي الأكل والشرب فيقول: أكلت كذا وكذا مما يضر، وليس في طبه أن الذي أضر بجسمي طول لبثي وقعودي عن الأسفار، كالفرس الجواد، يضر بجسمه طول قيامه في المرابط، فيفتر ويني.

(٩) السرايا: جمع سرية، وهي القطعة في الجيش تسري إلى العدوة. والقتام: الغبار، وأراد بدخول القتام: حضور الحرب.

(١٠) فأمسك: أي الجواد. ولا يطال له: أي لا يرخى طوله، وهو حبل طويل تشد به قائمة الدابة وترسل في المرعى.

(١١) أحمم: من الحمى.

(١٢) الحمام: الموت.